٥ – النص الشرعي سبيل النجاة من الفتن

فقد حذَّر الله – عز وجل – من خالف النص الشرعي من الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ، فقال تعالى :"فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (النور : ٦٣) .

قال ابن كثير :" قوله " فليحذر الذين يخالفون عن أمره " أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ أنه قال : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا. أن تصيبهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك ".[١]

وحكى ابن العربي عن الزبير بن بكار قال: سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال:"يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد. فقال: لا تفعل. قال : فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر. قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة. فقال: وأي فتنة هذه ؟ إنما هي أميال أزيدها. قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصَّر عنها رسول الله ﷺ إني سمعت الله يقول: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) " [٢].

قال الشاطبي :" وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله تفسير الآية هي شأن أهل البدع، وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه، وما سنه نبيه صلى الله عليه وسلم، دون ما اهتدوا إليه بعقولهم " [٣].

قال الإمام أحمد :"نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا، ثم جعل يتلو: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} (النور: ٦٣) وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم} (النساء: ٦٥)، وقال: وسمعت أبا عبد الله، يقول: « من رد حديث النبي ﷺ ، فهو على شفا هلكة » [٤]

فمن أعظم الضلال الذي تقع به الفتنة والعذاب إهمال النصوص الشرعية المعصومة، والمصير إلى العقل القاصر، وتحكيم أهواء البشر في نصوص الكتاب والسنة ، وما زاغ أهل الكلام قديمًا إلا لما سلكوا هذه الطريق الخاطئة، ثم تبعهم في هذه الأزمان أقوام كان جُلُّ حديثهم عن العقل ومنزلته في الإسلام، فغالَوْا في تعظيمه وتمجيده، حتى أعطوه السلطة المطلقة في الحكم على الوحي المنزل، تكذيبًا وتأويلاً، وردًّا وتحريفًا

يقول ابن القيم – رحمه الله – في زاد المعاد : " والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما إن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة " [٥]

ولقد كان نبينا ﷺ من أشد الناس تعظيما للنص الشرعي ، فكان ﷺلا ينتقم لنفسه إلا إذا انتهكت محارم الله عز وجل التي جاء بها النص الشرعي ففي الصحيحين ، عن عَائِشَةَ قَالَتْ : مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الآخَرِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ " [٦].

---

[١] – تفسير ابن كثير (٦ / ٨٢) .
[٢] - ذكره بسنده إلى الإمام مالك رحمه الله الإمام ابن العربي في أحكام القرآن، عند الآية (٣/ ٤٣٢)، وقد رواه الإمام ابن بطة في الإنابة الكبرى بلفظ مختصر من هذا (١/ ٢٦١ ــ ٢٦٢).
[٣] - الاعتصام (١ / ٢٣١)
[٤] - رواه ابن بطة في الإبانة (١ / ٢٦٠)
[٥] – زاد المعاد (١ / ٣٩) .
[٦] - متفق عليه : رواه البخاري (٣٥٦٠) ، ومسلم (٢٣٢٧)

وكان ﷺ يربي أصحابه –رضي الله عنهم– على التسليم لله تعالى وآياته وإجلال النصوص الشرعية وتعظيمها، فعن عبد الله بن عمرو ، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ، وهم يختصمون في القدر ، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب . فقال : بهذا أمرتم ، أو لهذا خلقتم ؟! تضربون القرآن بعضه ببعض . بهذا هلكت الأمم قبلكم " [١]

وكان ﷺ يأمر باتباع النص الشرعي ويحذر من اتباع الآراء والأهواء ومخالفة النص الشرعي أو الزيادة عليه ، ومن ذلك :

١ – أن النبي ﷺ أوصى بالقرآن الكريم ، فعن طلحة بن مصرف، قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى : أوصى النبي ﷺ بشيء؟ قال: " لا "، قلت: فكيف أمر المسلمين بالوصية ؟ قال: " أوصى بكتاب الله عز وجل" [٢]

وعندما كان في طريقه إلى المدينة أوصى بكتاب الله أيضًا ، فعن علي بن أبي طالب ، أن النبي ﷺ قال : « أما بعد ، ألا أيها الناس ، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به ». فحث على كتاب الله ، ورغب فيه ...... "[٣]

ولقد خشي النبي ﷺ على أمته زيغ القلوب، وفساد العقول، وانحراف الفطرة، وتنكُّب الطريق، وتبديل الدين، قال أبو الدرداء – رضي الله عنه –: "خرج علينا رسول الله ﷺونحن نذكر الفقر ونتخوفه فقال: ((آلفقر تخافون ؟ والذي نفسي بيده لتُصَبَنَّ عليكم الدنيا صبًّا حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هِيَهْ، وايم الله لقد تركتم على مثل البيضاء ليلُها ونهارها سواء)) قال أبو الدرداء: صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء" [٤]

٢ – وحذر النبي ﷺ من ترك النص الشرعي ، واتباع الأهواء والبدع ، فعن العرباض بن سارية ، أن النبي ﷺ قال: " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة " [٥]

ومن نبوءات الرسول ودلائل إعجازه أنه ﷺ حذر من هؤلاء المرجفين الذين يقدمون عقولهم وأقوالهم على النص الشرعي ، فعن المقدام بن معدي كرب الكندي، قال: قال رسول الله ﷺ : " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ..." [٦]

❁ المحور الثاني : منزلة النص عند الصحابة والتابعين :

لقد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثلة وأصدقها في المبادرة والمسارعة لامتثال أمر الله ورسوله وتعظيم نصوص الشرع والوقوف عندها والغضب عند مخالفتها وانتهاكها. وحرصهم هذا وتعظيمهم ليس مقصوراً على ما كان واجباً فحسب بل تعدى ذلك إلى المستحبات، ويكفيهم شرفاً وفخراً تزكية الله لهم وثناؤه عليهم.

وتظهر منزلة النص الشرعي عند الصحابة والتابعين في صور كثيرة منها :

---

[١] - رواه أحمد (٦٦٦٨) ، وابن ماجة(٥٨).

[٢] - متفق عليه : رواه البخاري (٢٧٤٠) ، ومسلم (١٦٣٤) .

[٣] - رواه مسلم (٢٤٠٨) .

[٤] - أخرجه ابن ماجة رقم (٥) ، وقال الألباني في ظلال الجنة :" صحيح لغيره " (١ / ٢٠) .

[٥] - أخرجه أحمد (١٧٢٧٥) ، وأبو داود (٤٦٠٧) .

[٦] - رواه أحمد (١٧١٧٤) ، وأبو داود في "السنن" (٤٦٠٤) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (٦٦٨) ، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي ، فمن رجال أبي داود والنسائي، وهو ثقة. التقريب (٣٩٧٤) .

١ – كانوا يخشون الفتنة والزيغ إذا تركوا أمرًا من أوامر النصوص الشرعية ، فمن ذلك ما ورد عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال : «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به ، إلا عملت به ، وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ ».

علَّق ابن بطة على هذا بقوله :" هذا يا أخواني الصدِّيق الأكبر يتخوَّف على نفسه من الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه ﷺ، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته؟!.. نسأل الله عصمة من الزلل، ونجاة من سوء العمل" [(١)]

٢ – كانوا يسارعون في الامتثال لحكم النص الشرعي ، ويقفون عند حدوده ، ولا يعارضونه برأي أو تأويل أو هوى نفس ومن ذلك :

– لما برأ الله عائشة رضي الله عنها من خبر الإفك قال أبو بكر : "والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا، وكان ممن وقع في شأن عائشة، وكان أبو بكر ينفق عليه قبل ذلك، فلما نزل قوله تعالى: "ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم " قال أبو بكر : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فأرجع إلى مسطح النفقة، وقال والله لا أنزعها أبداً) متفق عليه [(٢)].

– وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة ، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته ، كهولا كانوا ، أو شبانا ، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، هل لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه ، قال : سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس : فاستأذن الحر لعيينة ، فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب ، فوالله ، ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر ، حتى هم أن يوقع به ، فقال له الحر : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافا عند كتاب الله.[(٣)]

ومن تعظيم الفاروق للنص الشرعي أنه قلع ميزاباً للعباس على ممر الناس فقال له العباس : أشهد أن رسول الله هو الذي وضعه في مكانه، فأقسم عمر : لتصعدن على ظهري ولتضعنه في موضعه[(٤)].

– وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: إن عبد الله بن رواحة أتى النبي وهويخطب فسمعه يقول: اجلسوا، فجلس ابن رواحة مكانه خارج المسجد حتى فرغ النبي من خطبته، فبلغ ذلك النبي فقال له: ((زادك الله حرصاً على طواعية الله ورسوله)) [(٥)]

– وفي صحيح مسلم ، عن كثير بن عباس بن عبد المطلب قال : قال عباس : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار قال عباس و أنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ :« أى عباس ناد أصحاب السمرة ». فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتى أين أصحاب

---

(١) - الإبانة (٢٤٥/١).

(٢) - رواه البخاري (٣ / ٢١٩) ، ومسلم (٨ / ١١٢)

(٣) – أخرجه البخاري (٤٦٤٢) ، و البيهقي في الشعب (٧٢٨٦) .

(٤) – أخرجه أحمد (١٧٩٠) ، وابن سعد في الطبقات (٤ / ٢٠) ، والقصة بنحوها في "المصنف" لعبد الرزاق (١٥٢٦٤) ، و"المراسيل" لأبي داود (٤٠٦) من طريق سفيان بن عيينة، عن موسى بن أبي عيسى وموسى بن أبي عيسى الحناط ، وهو ثقة من رجال مسلم وعلق له البخاري، إلا أنه لم يدرك هذه القصة، التقريب (٧٠٠٠) وهي بمجموع هذه الطرق تتقوى فتحسن.

(٥) – انظر : سير أعلام النبلاء (١ / ٢٣٢) ، وذكره الحافظ في الإصابة (٦ / ٧٨) ، قال: أخرجه البيهقي بسند صحيح من طريق: ثابت، عن ابن أبي ليلى ... وأخرجه من وجه آخر إلى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، والمرسل أصح سندا.

السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها. فقالوا يا لبيك يا لبيك ... " [٦] وفي رواية لمحمد بن إسحاق عن العباس رضي الله عنه، قال: إني لمع رسول الله ﷺ آخذ بـــحَكَمةِ بَغلَته البيضاء، قد شجرتها بها، وكنت امرءاً جسيمًا شديد الصوت ، قال: رسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: ""إلى أين أيها الناس؟ قال: فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال: يا عباس، اصرخ: يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السَّمُرَة . فأجابوا: لبيك لبيك. قال: فيذهب الرجلُ ليثني بعيره، فلا يقدرُ على ذلك، فيأخذ دِرعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وقوسه وترسه، ويقتحمُ عن بعيره، ويخلي سبيله، ويؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ...الحديث ." [١]

– وفي صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عباس ، أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه فطرحه وقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به. قال : لا والله لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ [٢].

– عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ صلى فخلع عليه، فخلع الناس نعالهم فلما انصرف، قال: " لم خلعتم نعالكم؟ " فقالوا: يا رسول الله، رأيناك خلعت فخلعنا، قال: " إن جبريل أتاني فأخبرني أن بهما خبثا فإذا جاء أحدكم المسجد، فليقلب نعله، فلينظر فيها، فإن رأى بها خبثا فليمسه بالأرض، ثم ليصل فيهما " [٣].

– وفي قصة كعب بن مالك والثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن ربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، أصدق معاني الطاعة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين لرسول الله ﷺ . وسوف أذكر بعض تلك المواقف من هذه القصة رواها الإمام البخاري في "الصحيح" [٤] وهي:

الموقف الأول: قول كعب رضي الله عنه: ""ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، قال: فاجتنبنا الناس، أو قال: تغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي الأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوقمما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ...."".

انظر رحمك الله إلى الطاعة التي لم يتخللها، لا محاباة ولا مداهنة، فخمسين ليلة لا يكلمهم أحد من الصحابة رضي الله عنهم لأمر رسول الله ﷺ.

الموقف الثاني: موقف أبي قتادة رضي الله عنه : يقول كعب رضي الله عنه: حتى إذا طال عليَّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ، فسلمتُ عليه فو الله ما ردّ عليَّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة نشدك بالله هل تعلمني أُحب الله ورسوله ﷺ ؟ فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي، فتوليت حتى تسورت الجدار ..."". فلأمر رسول الله ﷺ هجر الصحابة رضي الله عنهم أبناء العمومة وأحب الناس إليهم.

فكعب رضي الله عنه يقول عن أبي قتادة: ""ابن عمي وأحب الناس إلي"" ومع ذلك حينما أتاه لم يردّ عليه السلام ولم يكلمه. لماذا؟؟ لأن رسول الله ﷺ عندهم أحب من كل شيء من الوالد والولد ومن بني العم ومن جميع الناس .

الموقف الثالث: قول كعب رضي الله عنه: "حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي، إذا رسول الله ﷺ يأتيني. فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها، أم ماذا أفعل ؟ قال : بل اعتزلها فلا تقربنَّها، وأرسل إلى صاحبَي بمثل ذلك: فقلت لامرأتي: إلحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر".

---

[٦] أخرجه مسلم (٤٦٣٥)

[١] - أورده الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٣٥٨/٢) ، وابن القيم في "زاد المعاد" (٤٧١/٣)، وقال الأرنؤوط: سنده صحيح.

[٢] - أخرجه مسلم ١٤٩/٦(٥٥٢٣) .

[٣] - أخرجه أحمد (١١١٥٣) ، أخرجه ابن أبي شيبة ٤١٧/٢، وابن خزيمة (١٠١٧) ، والحاكم ٢٦٠/١، والبيهقي في "السنن" ٤٠٢/٢ إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال مسلم غير يزيد بن هارون– فمن رجال الشيخين .

[٤] - في كتاب المغازي ، (٧٦٧/٧) ، وفي الفتح برقم (٤٢١٨) .

إنّ كعبًا رضي الله عنه حينما أمره رسول الله ﷺ باعتزال زوجته استجاب على الفور. بل وأبلغ من ذلك أنه يسأل: "أطلقها أم ماذا أفعل"، و لسان حاله يقول: إن كان فراق الزوجة بطلاقها من أسباب رضى الله ورسله فإني على استعداد تام، ليحصل لي ما هو خير من ذلك، توبة لله ورضى لرسوله ﷺ وقد حصل له ذلك بفضل الله ثم بصدقه في طاعة الله ورسوله.

بل كان الصحابة يعتصمون بالنص الشرعي رغم كل المخاطر التي كانت تحدق بهم ، ويعملون بمقتضاه ولو كان دونه دماؤهم وأموالهم ، فلما مات النبي ﷺ ارتد من ارتد من العرب، وكفر من كفر من العرب، وما بقي إلا قلة من المؤمنين، فلما حدثت الفتنة وأطلت برأسها على أهل المدينة والحجاز ومكة قام أبو بكر – رضي الله عنه وأرضاه – يعلمنا بلسان حاله أن هذه الأمة لن تثبت إلا بالتمسك بالنص الشرعي .

ففي صحيح البخاري ، عن أبي هريرة قال :" لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله) . فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . قال عمر – رضي الله عنه – : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق " [١]

بل قدم أبو بكر – رضي الله عنه – ماله كله امتثالاً لأمر النبي ﷺ ، عن أسلم ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول:

أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، فوافق ذلك عندي مالا ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما ، قال : فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : يا أبا بكر ، ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : والله ، لا أسبقه إلى شيء أبدا " [٢].

ففي صحيح مسلم، عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: "ألا تبايعون رسول الله ﷺ ؟ وكُنّا حديثُ عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال:"ألا تبايعون رسول الله"؟ قال: "فبسطنا أيدينا، وقلن قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال : "على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا" وأسرّ كلمة خفية "ولا تسألوا الناس شيئًا"، فلقد رأيتُ بعض أولئك النفر يسقط سوطُ أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه " [٣] .

وفي الصحيحين ، عن أنس قال :" كنت ساقي القوم ، في منزل أبي طلحة ، وكان خمرهم يومئذ الفضيخ ، فأمر رسول الله ﷺ مناديا ينادي : ألا إن الخمر قد حرمت ، قال : فقال لي أبو طلحة : اخرج فأهرقها ، فخرجت فهرقتها ، فجرت في سكك المدينة ، فقال بعض القوم : قد قتل قوم وهي في بطونهم . فأنزل الله :ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية "[٤].

٣ – وكان الصحابة يمتثلون للنص الشرعي حتى ولم يعلموا الحكمة التي شُرع من أجلها :

عن عابس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر نظر إلى الحجر ، فقال: رأيت عمر أتى الحجر ، فقال : أما والله ، إني لأعلم أنك حجر ، لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ، ما قبلتك ، ثم دنا فقبله ". [٥]

٤ – وكان الصحابة يرجعون إلى النص الشرعي في كل مسألة وفي كل خلاف ، كما أمر الله – عز وجل – فقال تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا " (النساء : ٥٩) .

---

[١] – أخرجه البخاري (١٣٩٩) .

[٢] - أخرجه عبد بن حميد (١٤) . والدارمي (١٦٦٠) . وأبو داود (١٦٧٨) ، والترمذي (٣٦٧٥) ، والدارمي والحاكم في "المستدرك" (١٤/١) ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي ، وقال الألباني، إسناده حسن راجع "المشكاة" (١٧٠٠/٣) حديث.(٦٠٢١).

[٣] - أخرجه مسلم (٩٧/٣) برقم (٢٣٦٧) .

[٤] – أخرجه البخاري (٢٤٦٤) ، ومسلم (٥١٧٣) .

[٥] – أخرجه البخاري (١٥٩٧) ، ومسلم (٣٠٤٦) .

– ففي سنن أبي داود ، عن قبيصة بن ذؤيب، أنه قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق، تسأله ميراثها ؟ فقال: ما لك في كتاب الله تعالى شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئا، فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة، «حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس »، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة، فقال: مثل ما قال المغيرة بن شعبة، فأنفذه لها أبو بكر ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه تسأله ميراثها، فقال: «ما لك في كتاب الله تعالى شيء، وما كان القضاء الذي قضي به إلا لغيرك، وما أنا بزائد في الفرائض، ولكن هو ذلك السدس، فإن اجتمعتما فيه فهو بينكما، وأيتكما خلت به فهو لها » [١]

– وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر خرج إلى الشام فلما جاء سرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام. فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه. وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ». فرجع عمر بن الخطاب من سرغ. وعن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عمر إنما انصرف بالناس من حديث عبد الرحمن بن عوف [٢].

٥ – كان الصحابة ومن بعدهم من التابعين يشتد نكيرهم وغضبهم على كل من عارض النص الشرعي برأي أو قياس أو استحسان أو قول أحد من الناس كائناً من كان ، ويهجرون فاعل ذلك ، وينكرون على من يضرب لهم الأمثال . ولا يسوِّغون غير الانقياد له والتسليم والتلقي بالسمع والطاعة ، ولا يخطر بقلوبهم التوقُّف في قبوله . حتى يشهد له عمل أو قياس أو يوافق قول فلان و فلان ، بل كانوا عاملين بقوله تعالى : { وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم } ، وبقوله تعالى : { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما }

عن أبي قتادة قال: كنا عند عمران بن حصين في رهطٍ منا، وفينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء خيرٌ كلُّه» أو قال: «الحياء كلُّه خير»، فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة: أنَّ منه سكينة ووقارًا لله، وفيه ضعف. فغضب عمران حتى احمرت عيناه وقال: ألا أراني أحدِّثك عن رسول الله ﷺ، وتُعارض فيه [٣] ؟

قال ابن بطال: وإنما غضب عِمران بن حصين، لأن بُشَير بن كعب حدثه عن صحيفته، فيما كان حدثه به عمران عن النبي ﷺ، فهذا أصلٌ أن الحجة إنما هي في سنة رسول الله ﷺلا فيما يُروى عن كتب الحكمة لأنه لا يُدرى ما في حقيقتها. [٤]أهـــ

وقال القرطبي: لم ينكر عمران على بُشَير هذا القول من حيث معناه، وإنما أنكره عليه من حيث إنه أتى به في معرض من يعارض كلام رسول الله ﷺ بكلام الحكماء، ويقاومه به، ولذلك قال: أحدثك عن رسول الله وتحدثني عن صُحفك، وقيل: إنما أنكره عليه لأنه خاف أن يخلط بالسنة ما ليس منها، فسَدَّ ذريعة ذلك بالإنكار" [٥]أهـــ

وقد ذكر في فتح الباري (١٠/٥٢٢) عدة أقوال في سبب غضب عمران :

١– قيل إنه غضب من قوله: (وفيه ضعف).

٢– قيل غضب من قوله: (منه) لأن التبعيض يفهم أن منه ما يضاد ذلك، وقد روى أنه كله خير.

٣– قيل إنما أنكره عليه من حيث إنه ساقه في معرض من يعارض كلام الرسول بكلام غيره. واستحسن ابن حجر ذا التوجيه.

---

(١) ـ أخرجه أحمد (١٨١٤٣) ، وأبو داود (٢٨٩٤) ، وابن ماجة (٢٧٢٤) ،والترمذي (٢١٠١) ، وقبيصة لم يشهد القصة، فلم يثبت سماعه من أبي بكر، لكنه تابعي كبير، ولد على عهد النبي ﷺ، وجل روايته عن الصحابة، فلعله سمعه من محمد بن مسلمة أو المغيرة بن شعبة أو صحابي غيرهما، وعلى الرغم من أن ظاهره الإرسال، فقد صححه الترمذي وابن حبان، وقال الحافظ في التلخيص (٨٢/٣): إسناده صحيح لثقة رجاله، إلا أن صورته مرسل. وللحديث شواهد يتقوى بها .

(٢) ـ أخرجه البخاري (٥٧٣٠) ، ومسلم (٥٨٤٠) واللفظ له

(٣) ـ أخرجه البخاري (٦١١٧) ومسلم (٦١) واللفظ له.

(٤) ـ شرح ابن بطال على صحيح البخاري (٩ / ٢٩٨) .

(٥) ـ المفهم (١ / ٢٢٠) .

٤- قيل إنما أنكره عليه لكونه خاف أن يخلط السنة بغيرها.

عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وتسألها، فتقول: ((ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت عائشة: أحرورية أنت ؟ فقالت المرأة : لست حرورية، ولكني أسأل، قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقـــضـــــاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة)) [١].

وعن أبي المخارق قال: ذكر عبادة بن الصامت أنَّ النبي ﷺ نهى عن درهمين بدرهم، فقال فلان: ما أرى بهذا بأسًا، يدًا بيد. فقال عبادة: أقول قال النبي ﷺ، وتقول: لا أرى به بأسًا؟.. والله لا يظلُّني وإياك سقف أبدًا. [٢]

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه: نهى النبي ﷺ عن الخذف وقال:«إنها لا تصطاد صيدًا، ولا تنكأ عدوًا، ولكنها تفقأ العين، وتكسر السن».. فقال رجل لعبد الله بن مغفل: وما بأس هذا؟ فقال: إني أحدِّثك عن رسول الله، وتقول هذا؟ والله لا أكلمك أبدًا. [٣]

قال النووي : فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السُّنة مع العلم، وأنه يجوز هجرانه دائمًا، أمَّا النهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام فإنما هو فيمن هُجر لِحَظِّ نفسه ومعايش الدنيا، وأمَّا أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائمًا .. وهذا الحديث مِمَّا يُؤَيِّده مع نظائره له، كحديث كعب بن مالك وغيره. أهـــ [٤]

وقال ابن حجر: وفي الحديث جواز هجران من خالف السُّنة وترك كلامه، ولا يدخل ذلك في النهي عن الهجر فوق ثلاث؛ فإنه يتعلَّق بِمَن هُجِر لِحَظِّ نفسه. أهـــ [٥]

وعن سالم بن عبد الله أنَّ عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها»، فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهنّ. فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبًّا سيئًا ما سمعته سبَّه مثله قط، وقال: أُخبِرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن؟! [٦]

قال النووي: فيه تعزير المعترض على السُّنة والمعارض لها برأيه . [٧]

قال ابن حجر: أُخِذ من إنكار عبد الله على ولده تأديب المعترِض على السُّنن برأيه، وجواز التأديب بالهجران، فقد وقع في رواية أبي نجيح عن مجاهد عند أحمد «فما كلَّمه عبد الله حتى مات» [٨]، وهذا – إن كان محفوظًا – يُحتمل أن يكون أحدهما مات عقب هذه القصة بيسير. [٩]

وعن قتادة قال : حدَّث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل: قال فلان كذا وكذا، فقال ابن سيرين: أحدِّثك عن النبي ﷺ وتقول: قال فلان كذا وكذا؟!.. لا أكلمك أبدًا . [١٠]

٦ – كانوا يحرصون على تعلم النص الشرعي ، ويجوبوا البلاد ويقطعون الفيافي والأميال من أجل تعلمها من ذلك :

---

[١] - متفق عليه : البخاري (١ / ٨٨) ، ومسلم (١ / ١٨٢) .

[٢] - أخرجه ابن ماجه (١٨) والدارمي (٤٤٣) واللفظ له والحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨).

[٣] - أخرجه البخاري (٥٤٧٩) ومسلم (١٩٥٤) وهذا اللفظ لابن بطة في الإبانة (٩٦).

[٤] - شرح صحيح مسلم (١٠٦/١٣).

[٥] - الفتح (٦٠٨/٩).

[٦] - أخرجه مسلم (٤٤٢).

[٧] - شرح صحيح مسلم (١٦٢/٤).

[٨] - المسند (٤٩٣٣، – ٥٢٧/٨).

[٩] - الفتح (٣٤٩/٢).

[١٠] - أخرجه الدارمي (٤٤١) بسند حسن من أجل سعيد بن بشير الأزدي ، قال البخارى : يتكلمون فى حفظه و هو محتمل . و قال دحيم : ثقة ، كان مشيختنا يوثقونه. وقال عنه الذهبي :" المحدث ، الصدوق ، الحافظ " . انظر : السير رقم (٩٧) ، تهذيب الكمال (٤٨١ – ٤٨٢).

عن عمر بن الخطاب قال :" قال كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ، وهم من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوما وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ... " [١]

وهذا عقبة بن الحارث – رضي الله عنه – رحل من مكة إلى المدينة هاباً وإيابًا من أجل أن يسأل عن النص الشرعي في مسألته ، ففي صحيح البخاري عن عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأتته امرأة فقالت قد أرضعت عقبة والتي تزوج فقال لها عقبة : ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني ، فأرسل إلى آل أبي إهاب يسألهم فقالوا : ما علمنا أرضعت صاحبتنا فركب إلى النبي ﷺ بالمدينة فسأله فقال رسول الله ﷺكيف وقد قيل ؟ ففارقها ونكحت زوجا غيره ". [٢]

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيرا ، ثم شددت عليه رحلي ، فسرت إليه شهرا، حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال ابن عبد الله ؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني، واعتنقته، فقلت: حديثا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص ، فخشيت أن تموت، أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يحشر الناس يوم القيامة – أو قال: العباد – عراة غرلا بهما " قال: قلنا: وما بهما ؟ قال: " ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار، أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة " قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلا بهما ؟ قال: " بالحسنات والسيئات " [٣]

❁ المحور الثالث : منزلة النص عند الأئمة :

لقد سار أعلام الهدى من علماء الأمة من بعد صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم بإحسان على طريق سلفهم الصالح من الاحتجاج بالنص الشرعي وتقديره وتوقيره والرجوع إليه في كل صغيرٍ وكبيرٍ والتحذير عن مجانبته أو مخالفته أو تركه أو التقدم عليه وبين يديه ، وقد أُثر عنهم كما أُثر عن سلفهم من الأقوال الدالة على ذلك – وهي كثيرة جداً – من ذلك :

أولاً : نقل الإمام الشافعي الإجماع على تقديم النص الشرعي على كل قول أو رأي ، فقال :" أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس " [٤]

ثانيا : كان الأئمة ينكرون إنكارًا شديدًا على من قدم قوله أو رأيه على النص الشرعي منها :

ما قاله أبو السائب: كنا عند وكيع، فقال لرجل عنده مِمَّن ينظر في الرأي: أشعر [٥]رسول الله ﷺ، ويقول أبو حنيفة «هو مُثلة». قال الرجل: فإنه قد رُوي عن إبراهيم النخعي أنه قال: «الإشعار مُثلة»، قال: فرأيت وكيعًا غضب غضبًا شديدًا وقال: أقول لك قال رسول الله ﷺ وتقول: قال إبراهيم؟!.. ما أحقّك بأن تُحبس ثم لا تخرج حتى تنـــزع عن قولك هذا [٦]

وعن خُرَّزَاذ العابد قال : حدَّث أبو معاوية الضرير عند هارون الرشيد، بحديث «احتجَّ آدم وموسى».

---

[١] - رواه البخاري (٢٧٨/٩ – ٢٧٩) ، ومسلم (١٤٧٩/ ٣٤) .

[٢] – أخرجه البخاري (٢٦٤٠)

[٣] – رواه أحمد (١٦٠٤٢) إسناده حسن، القاسم بن عبد الواحد المكي، سئل عنه أبو حاتم فقال: يكتب حديثه، ثم سئل: يحتج بحديثه؟ قال: يحتج بحديث سفيان، وشعبة. وقد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات". وقال الذهبي: وثق. وعبد الله بن محمد بن عقيل قال الحافظ في "التلخيص": أما إذا انفرد فيحسن، وأما إذا خالف فلا يقبل، وقال الذهبي في "الميزان": حديثه في مرتبة الحسن، قلنا: وقد توبع ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، غير أن صحابيه عبد الله بن أنيس قد أخرج له أبو داود والترمذي .

[٤] - انظر : الرسالة (ص : ٤٢٥) .

[٥] - الإشعار: هو أن يشق أحد جني سنام البدنة حتى يسيل دمها، ويجعل ذلك لها علامة تعرف بها أنها هدي. النهاية (٤٧٩/٢).

[٦] - أخرجه الترمذي (٢٥٠/٣) ، وصححه الألباني .

فقال: رجل شريف من وجوه قريش فأين لقيه ؟.. فغضب هارون الرشيد وقال : النطع والسيف، زنديق يطعن في الحديث .. فما زال أبو معاوية يُسكنه ويقول: بادرة يا أمير المؤمنين ولم يفهم، حتى سكن [١].

يقول شـــيخ الإسلام أبو إسماعيل الصابوني -رحمه الله- معلقاً على هذه القصة : "هكذا ينبغي لـــلمرء أن يعظم أخبار رسول الله ﷺ ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، وينكر أشـــــد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد- رحمه الله- مـــــع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بـــ " كيف" على طريق الإنكار له والابتعاد عـــنه ، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد عن الرسول ﷺ" [٢]

وقال عاصم: مرَّ رجل على زرِّ بن حبيش وهو يؤذِّن فقال: يا أبا مريم، قد كنت أكرمك عن ذا، فقال: إذن لا أُكلِّمك كلمة حتى تلحق بالله [٣].

قال الحاكم: سمعته – يعني أبا بكر الصبغي – وهو يخاطب فقيهًا، فقال: حدِّثونا عن سليمان بن حرب، فقال له: دعنا مَن حدَّثنا إلى متى حدَّثنا وأخبرنا ؟

فقال: يا هذا، لست أشمُّ من كلامك رائحة الإيمان، ولا يحلُّ لك أن تدخل داري .. ثم هجره حتى مات [٤].

قال الواقدي : حدَّثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: قال مروان بن الحكم، وهو على المدينة وعنده ابن يامين النضري : كيف كان قتل ابن الأشرف ؟ قال ابن يامين : كان غدرًا.

وكان محمد ابن مسلمة جالس، شيخ كبير، فقال: يا مروان، أيغدر رسول الله ﷺ عندك؟.. والله ما قتلناه إلاَّ بأمر رسول الله ﷺ .. والله لا يؤويني وإيَّاك سقف بيت إلا المسجد، وأما أنت يا بن يامين فلله عليّ إن أفلتّ وقدرتُ عليك وفي يدي سيف إلا ضربت به رأسك [٥].

وقال أبو عبد الله المؤذن: كنت مع ابن أبي شريح في طريق غور، فأتاه إنسان في بعض تلك الجبال فقال له: إنَّ امرأتي ولدت لستة أشهر..

فقال: هو ولدك، قال رسول الله « الولد للفراش »، فعاوده، فردَّ عليه كذلك.

فقال الرجل: أنا لا أقول بهذا. فقال: إنَّ هذا الغزو، وسلَّ عليه السيف، فأكببنا عليه، وقلنا: جاهل، لا يدري ما يقول [٦].

وقال أبو الحسين الطبسي: سمعت أبا سعيد الأصطخري يقول: ...وجاءه رجل وقال له: أيجوز الاستنجاء بالعظم؟ قال: لا. قال: لِمَ؟ قال: لأنَّ رسول الله ﷺ قال: «هو زاد إخوانكم من الجن».. فقال له: الإنس أفضل أم الجن؟

قال: بل الإنس. قال: فلِمَ يجوز الاستنجاء بالماء وهو زاد الإنس؟

قال: فنـــزا عليه وأخذ بحلقه وهو يقول: يا زنديق، تُعارض رسول الله ﷺ؟.. وجعل يخنقه، فلولا أني أدركته لقتله، أو كما قال . [٧]

قال الشافعي: أخبرني أبو حنيفة بن سمَّاك بن الفضل الشهابي قال: حدَّثني ابن أبي ذئب عن المقري عن أبي شريح الكعبي أنَّ النبي ﷺ قال عام الفتح: «من قُتل له قتيل فهو بخير النظرين؛ إن أحبَّ أخذ العقل، وإن أحب فله قود».

---

[١] - تاريخ بغداد (٧/١٤) وذم الكلام وأهله (٢٦٣/٤) وسير أعلام النبلاء (٢٨٨/٩).

[٢] – عقيدة السلف (ص : ١١٧)

[٣] - السير (١٦٩/١).

[٤] - سير أعلام النبلاء (٤٨٥/١٥)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٠/٣).

[٥] - الصارم المسلول (ص : ٩٠).

[٦] - ذم الكلام وأهله (٣٩٨/٤) رقم (١٢٥٨).

[٧] - مدارج السالكين (٣٣٤/١).

قال أبو حنيفة: فقلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا يا أبا الحارث؟ فضرب صدري، وصاح علي صياحًا كثيرًا ونال مني وقال: أحدِّثك عن رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به؟!.. نعم، آخذ به، وذلك الفرض عليّ وعلى من سمعه، إنَّ الله اختار محمدًا من الناس فهداهم به وعلى يديه، واختار لهم ما اختار له وعلى لسانه، فعلى الخلق أن يتَّبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك.

قال: وما سكتَ حتى تمنيتُ أن يسكت [١].

قال أبو يوسف : لا يحل لأحد أن يقول :" مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا ". [٢]

قال في البحر الرائق :" فإن قلت كيف جاز للمشايخ الإفتاء بغير قول الإمام الأعظم مع أنهم مقلدون قلت قد أشكل على ذلك مدة طويلة ولم أر فيه جوابا إلا ما فهمته الآن من كلامهم وهو أنهم نقلوا من أصحابنا أنه لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا حتى يعلم من أين قلنا حتى نقل في السراجية أن هذا سبب مخالفة عصام للإمام وكان يفتي بخلاف قوله كثيرا لأنه لم يعلم الدليل وكان يظهر له دليل غيره فيفتي به" [٣]

قال الحميدي: رَوى الشافعي يومًا حديثًا فقلت: أتأخذ به؟ فقال: رأيتني خرجت من كنيسة أو علي زنار حتى إذا سمعت عن رسول الله حديثًا لا أقول به؟! [٤]

وسُئل الشافعي عن مسألة فقال: رُويَ فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ، فقال السائل: يا أبا عبد الله، تقول به ؟

فارتعد الشافعي وانتفض وقال: يا هذا، أيُّ أرضٍ تقلُّني،وأيُّ سماء تظلُّني إذارويت عن رسول الله ﷺ حديثًا فلم أقل به؟ نعم،عليّ السمع والبصر.[٥]

قال أحمد بن حنبل: من رد حديث النبي ﷺ فهو على شفا هلكة . [٦]

قال البربهاري : وإذا سمعت الرجل يطعن في الآثار أو يريد الآثار، فاتهمه على الإسلام، ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع . [٧]

وقال أبو القاسم الأصبهاني: قال أهل السُّنة من السلف: إذا طعن الرجل على الآثار، ينبغي أن يُتهم على الإسلام. [٨]

قال محمد بن يحيى الذهلي:سمعت يحيى بن يحيى – يعني أبا زكريا التميمي النيسابوري – يقول: الذّبُّ عن السُّنة أفضل من الجهاد في سبيل الله.

قال محمد: قلت ليحيى: الرجل يُنفق ماله، ويتعب نفسه ويجاهد، فهذا أفضل منه؟! قال: نعم، بكثير. [٩]قال أبو عبيد القاسم بن سلام: المتَّبِع لِلسُّنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من الضرب بالسيوف في سبيل الله . [١٠]

قال الحميدي: والله لأن أغزو هؤلاء الذين يردُّون حديث رسول الله ﷺ أحبّ إليّ من أغزو عدَّتهم من الأتراك . [١١]

قال مالك بن أنس: السُّنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق . [١٢]

---

(١)- الرسالة للشافعي (ص٤٥٠) رقم (١٢٣٤)ن وانظر الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٣٠٢/٢).

[٢] - رواه البيهقي في المدخل (٢٦٢) وسنده صحيح .

[٣] – البحر الرائق (٦ / ٢٩٣) . ونقله في لسان الحكام (ص : ٢١٨) .

[٤] - حلية الأولياء (١٠٦/٩)، وسير أعلام النبلاء (٣٤/١٠).

[٥] - السير (١٠ / ٣٥) ، حلية الأولياء (٩ / ١٠٦)، و تاريخ ابن عساكر (١٥ / ١٠ / ٢) ، ومناقب البيهقي (١ / ٤٧٥).

[٦] - طبقات الحنابلة (١٥/٢)، والإبانة (٢٦٠/١).

[٧] - شرح السنة (ص : ٥١).

[٨] - الحجة في بيان المحجة (٤٢٨/٢).

[٩] - – ذم الكلام وأهله (٢٥٣/٤–٢٥٤) رقم (١٠٨٩) ومجموع الفتاوى (١٣/٤) وسير أعلام النبلاء (٥١٨/١٠) ووقع في السير يحيى بن معين وهو تصحيف.

[١٠] - تاريخ بغداد (٤١٠/١٢) وطبقات الحنابلة (٢٦٢/١).

[١١] - سير أعلام النبلاء (٦١٩/١٠).

[١٢] - ذم الكلام وأهله (٨١/٥). ط. مكتبة دار العلوم والحكم.

قال ابن القيم :" هل كان في الصحابة من إذا سمع نصَّ رسول الله ﷺ عارضه بقياسه أو ذوقه أو وجده أو عقله أو سياسته؟.. وهل كان قط أحدٌ منهم يقدم على نصِّ رسول الله ﷺ عقلاً أو قياسًا أو ذوقًا أو سياسة أو تقليد مقلِّد؟. فلقد أكرم الله أعينهم وصانها أن تنظر إلى وجه من هذا حاله أو يكون في زمانهم. ولقد حكم عمر بن الخطاب ﷺ على من قدَّم حُكمه على نصِّ الرسول بالسيف، وقال: هذا حُكمي فيه.." (٩)

المراجع :

١ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

٢ – تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .

٣ – الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) المحقق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .

٤ – تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة : ١٩٩٠ م .

٥ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م .

٦ – أحكام القرآن ، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى : ٣٧٠ ه) ، تحقيق : محمد صادق القمحاوي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥ ه .

٧ – درء تعارض العقل والنقل ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم ، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .

٨ – شرح العقيدة الطحاوية ، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) ، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني ، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة ، الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٩ – الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) ، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي ، دار الراية – السعودية / الرياض الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

١٠ – الإبانة الكبرى لابن بطة ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ) ، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري من سنة ١٤١٥ ه – ١٩٩٤ م إلى ١٤٢٦ – ٢٠٠٥ م ، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض .

١١ – ذم الكلام وأهله ، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ) ، المحقق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل ، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م .

---

(٩) - مدارج السالكين (١ / ٣٢٤ – ٣٢٥)

١٢ – الصارم المسلول ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية .
١٣ – شرح السنة ، الحسن بن علي بن خلف البربهاري (المتوفى سنة ٣٢٩ ﻫ) ، دراسة وتحقيق : أبي ياسر خالد بن قاسم الردادي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، الطبعة الأولى لسنة ١٤١٤ ﻫ – ١٩٩٣ م .
١٤ – الاعتصام ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: دار ابن عفان، السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .
١٥ – الموطأ ، رواية يحيى الليثي ، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – مصر
١٦ – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .
١٧ – صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٨ – جامع الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م
١٩ – سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، أبو داود ، المحقق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت
٢٠ – سنن ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى : ٢٧٣هـ) ، كتب حواشيه : محمود خليل ، الناشر : مكتبة أبي المعاطي .
٢١ – المجتبى من السنن " السنن الصغرى للنسائي " ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ – ١٩٨٦ .
٢٢ – مسند أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .
٢٣ – سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠م .
٢٤ – شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .
٢٥ – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .
٢٦ – المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠م .
٢٧ – المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ.
٢٨ – مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .

٢٩ – المراسيل ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، المحقق: شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ .

٣٠ – تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ) ، الناشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .١٩٨٩م.

٣١ – ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ، محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة : الثالثة –١٤١٣ هـ -١٩٩٣م .

٣٢ – السلسلة الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتبة المعارف – الرياض .

٣٣ – مشكاة المصابيح ، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة : الثالثة – ١٤٠٥ – ١٩٨٥م .

٣٤ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ

٣٥– طبقات الحنابلة ، أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد (المتوفى : ٥٢٦هـ) ، المحقق : محمد حامد الفقي ، الناشر : دار المعرفة – بيروت .

٣٦ – تاريخ بغداد ، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .

٣٧ – الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، الناشر : دار صادر – بيروت

٣٨ – تذكرة الحفاظ ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

٣٩ – سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٤٠ – الإصابة في تمييز الصحابة ، المؤلف: أحمد بن علي بن حَجَر أبو الفضل العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢) تحقيق: مركز هجر للبحوث ، الناشر: دار هجر.

٤١ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، المحقق : إحسان عباس ، الناشر : دار صادر – بيروت .

٤٢ – الجرح والتعديل ، الإمام عبد الرحمن بن المنذر التميمي الرازي (المتوفى ٣٢٧ ٥) ، دار الفكر ، الطبعة الأولى .

٤٣– الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله ، الناشر : دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ – ١٩٩٨م .

٤٤ – مدارج السالكين ، ابن القيم ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣م .

٤٥ – إعلام الموقعين عن رب العالمين ،ابن القيم ، صنعة أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، رجب ١٤٢٣ ه .

٤٦ – مجموع الفتاوى ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس ، المحقق : أنور الباز – عامر الجزار ، الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٤٧ – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الطبعة الثانية ، ١٣٩٢.

٤٨ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ

٤٩ – التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ) ، المحقق : مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى ، الناشر : مؤسسة القرطبه .

٥٠ – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ه– ١٩٩٦ م .

٥١ – الكفاية في علم الرواية ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي ، الناشر : المكتبة العلمية – المدينة المنورة
تحقيق : أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني .

٥٢ – شرح علل الترمذي ، الإمام العالم الحافظ النّقّاد زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي المعروف (بابن رجب الحنبلي)، المحقق : د.نور الدين عتر ، مع مقدمة تحقيق د.همام عبد الرحيم سعيد.

٥٣ – النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .